

جهود قيادة الثورة الجزائرية في العناية باللغة العربية واستعمالها

د/فتح الدين أزاو



جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

مقدمة:

تعد اللغة العربية مقوما أساسيا من مقومات الهوية الجزائرية، فهي اللسان المشترك للمجتمع الجزائري، والمعبر الحقيقي عن قيمه الحضارية والروحية، لذلك حاول الاستعمار الفرنسي تصفيتها، اعتقادا منه بالدور الخطير الذي قد تلعبه ضد كيانه السياسي والحضاري في الجزائر. وإذا كانت الحركة الوطنية خاضت نضالا وطنيا بخصوص هذه المسألة - قولا وفعلا - وتصدت لسياسة الفرنسة، فما مدى استلهاام الثورة الجزائرية لهذه التجربة؟ وما مدى التزامها بإعادة المكانة للغة العربية في برامجها ونظمها ومؤسساتها؟ وما مدى تكريسها لهذه اللغة كواقع في الأوساط الشعبية؟

1- إحياء التعليم العربي:

بالعودة إلى مختلف أدبيات الثورة نجد أن جبهة التحرير الوطني نددت بسياسات التضييق التي مارسها فرنسا ضد اللغة العربية، عبرت عن هذا الموقف في أول مؤتمر لها في الصومام عندما أشار ميثاقه إلى أن الاستعمار >> قد خنق أنفاس اللغة العربية التي هي اللغة القومية لغة الأغلبية الساحقة من السكان ومحا تعليمها العالي محوا كليا منذ بدء الاحتلال بتشتيت شمل الأساتذة والطلاب وباغتصاب الأوقاف >> (1).

(1) الأرشيف الوطني الجزائري، علبة رقم 232، المنهج السياسي لتحقيق انتصار الثورة الجزائرية في الكفاح من أجل الاستقلال الوطني.

هذا ما أكدته جريدة المقاومة الجزائرية - لسان حال الثورة - التي استنكرت سياسة غلق المدارس الحرة وسجن المعلمين ونفيهم والنيل من أعضاء الجمعيات التهديبية وأولياء التلاميذ مبينة أن هذه السياسة تهدف إلى محو شخصية الأمة في مقوم من أهم مقوماتها (1).

وعلى هذا، حملت الثورة الجزائرية - رغم المهام الثقيلة للكفاح المسلح - على عاتقها مهمة تعليم اللغة العربية وسط الشعب والجنود، لذلك أصدرت جبهة التحرير الوطني تعليمات لمباشرة التعليم العربي⁽²⁾ وتحسينه⁽³⁾. وقد كانت اللغة العربية هي حجر الزاوية في العملية التعليمية⁽⁴⁾، من خلال المواد المدرسة، كالعلوم الشرعية والإملاء والقواعد والقراءة والحساب والأنشيد والرسم، كانت كلها تدرس باللغة العربية، هذا فضلا عن دروس اللغة العربية وتعليم القرآن، التي كانا يعطى لها أفضلية التدريس في الفترة الصباحية⁽⁵⁾.

(1) المقاومة الجزائرية، عدد 07 (16 فيفري 1957)، ص 12.

(2) في هذا الإطار نذكر - مثلا - التعليم رقم: 547/66 ط (ماي 1959)، الصادرة عن الولاية السادسة التي نصت على إجبارية التعليم للذكور والإناث، والتعليم الواردة في رسالة لجنة التنسيق والتنفيذ (28/08/1957)، التي حثت على التعليم العربي الإسلامي. وقد نشر المجاهد الهادي أحمد درواز النص الكامل للتعليمتين. أنظر: الهادي أحمد درواز، من تراث الولاية السادسة التاريخية، الورقة الثالثة، ط 1، دار هومة، الجزائر، 2006، ص ص 162 - 164.

(3) هذا ما أشارت إليه تعليمة محمد السعيد (قائد الولاية الثالثة) إلى مسؤولي الأوقاف. وقد نشر محمد حربي وجيلبرت ميني النص الكامل لهذه التعليمات. أنظر Mohammed Harbi - Gilbert Meynier, Le FLN Document Histoire (1954-1962), Edition Casbah, Alger, 2004, pp586-587.

(4) الهادي أحمد درواز، المرجع السابق، ص 170.

(5) نشر محمد حربي وجيلبرت ميني - نقلا عن الأرشيف الفرنسي - مخطط البرنامج التعليمي (الزماني والنظري) الذي وضعته الولاية الثالثة لتلاميذ المدارس، يمتد طيلة أيام الأسبوع (ما عدا يوم الجمعة) من الثامنة صباحا إلى الرابعة مساء، يشتمل على تدريس تلك المواد. أنظر:

Mohamed Harbi-Gilbert Meinier, op.cit, p 637.

وتشير المصادر إلى ضخامة الإمكانيات المادية والبشرية المعتمدة للتعليم العربي والأهمية القصوى التي أولتها الثورة للغة العربية لهذه العملية، فقد جاء في تقرير الولاية الثالثة المقدم في اجتماع العقدة (1959)، عن الوضع الثقافي والاجتماعي والديني بالولاية، بأن مجموع المدرسين بلغ ألفاً (1000)، يتقاضى الواحد منهم عشرة آلاف فرنك بالمناطق الجبلية وخمسة عشر ألف فرنك بالمدن، أما عدد التلاميذ المتمدرسين إناثاً وذكوراً فقد قارب أربعة وثلاثين ألف وسبعمائة وتسعة وسبعين (34779)، وأشار التقرير إلى أن المجاهدين كانوا يتلقون دروساً لرفع مهارتهم في اللغة العربية بمعدل أربعة دروس من ساعتين في الأسبوع⁽¹⁾. هذا يتطابق مع ما ذكره يحيى بوعزيز بأن عميروش⁽²⁾ سخر أموال الأوقاف للولاية الثالثة لتمويل مشروع التعليم العربي الإسلامي بالإنفاق على طلبة الزوايا والمساجد والكتاتيب القرآنية⁽³⁾. وقد استعان عميروش بعلماء جمعية العلماء، فقد طلب من أحمد حماني، بصفته ممثلاً لعلماء الشرق الجزائري، إرسال معلمين لنشر الوعي الديني والثقافي والسياسي⁽⁴⁾، وقام

(1) شاوش حباسي، محاضر جلسات اجتماع لجنة العشرة (11 أوت إلى 16 ديسمبر 1959): مجلة دراسات إنسانية، الصادرة عن كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية (جامعة الجزائر)، العدد الأول (2001)، ص 311.

(2) ولد سنة 1926، انخرط في حركة الانتصار بفرنسا، بعد اندلاع الثورة - بأربعين فقط - عاد إلى الجزائر واتصل بكريم بلقاسم فعينه على القبائل الصغرى في حوض الصومام حقق نجاحاً في مهمته في نشر الثورة وأشرف على أمن مؤتمر الصومام وتصدى لمؤامرة <<الجنود الزرق>> التي دبرتها فرنسا في ولايته (الثالثة). استشهد مع قائد الولاية الثانية سي الحواس في معركة جبل ثامر (29 مارس 1956). أنظر: يحيى بوعزيز، الثورة في الولاية الثالثة، طبعة خاصة، دار البصائر، الجزائر 2009، ص ص 293 - 294.

(3) المرجع نفسه، ص 281.

(4) نبيل أحمد بلاسي، الاتجاه العربي الإسلامي ودوره في تحرير الجزائر، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة، 2006، ص 139.

بتعيين المجاهد والمحافظ السياسي عبد الحفيظ أمقران مفتشا للتعليم العربي الإسلامي في حوض الصومام⁽¹⁾.

لقد ورثت الثورة الجزائرية المدارس الحرة التابعة لجمعية العلماء المسلمين⁽²⁾، وطبعا كانت دروس أساتذة الجمعية تقدم باللغة العربية، وقد لقيت نجاحا حتى داخل السجون فبعض المسجونين تعلم القراءة والكتابة العربية داخل المعتقلات⁽³⁾؛ إذ كانت جبهة التحرير قد أوجدت خلايا في هذه المعتقلات لتعليم المساجين اللغة العربية ومبادئ الدين⁽⁴⁾، سواء من أساتذة جمعية العلماء⁽⁵⁾، أو ممن تتوفر فيهم الخبرة باللغة العربية أو العلوم الشرعية لأداء مهمة التعليم⁽⁶⁾ لذلك تحولت هذه المعتقلات، كما قال البعض، إلى >> مراكز حقيقية لتعلم اللغة العربية <<⁽⁷⁾. هذا فضلا عن عملية تعليم القرآن الكريم التي كانت تزداد انتشارا في

(1) يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص. 281

(2) إلى جانب ذلك قامت الثورة ببناء المدارس، فقد ذكر إيفه بريستير نقلا عن إحدى الممرضات المجاهدات (مليكة) قولها إن الجيش كان يسأل السكان إذا ما كانوا بحاجة إلى مدرسة، فإذا أبدوا رغبة في ذلك ساعدهم المجاهدون على بناء كوخ كبير، ثم يقدم الفلاحون المال لشراء لوح الكتابة والدفاتر والأقلام وغيرها من التجهيزات. أنظر: إيفه بريستير، في الجزائر السلاح يتكلم، ترجمة عبد الله كحيل، المؤسسة الجزائرية للطباعة الجزائر، 1989. ص 207.

(3) نقل جورج الراسي شهادة للكاتب الجزائري عبد الله ركيبي قال فيها أنه ساهم شخصيا في دورة لمحو الأمية طيلة ستة أشهر في سجن آفلو. أنظر: جورج الراسي، الدين والدولة في الجزائر، دار القصة، الجزائر 2008. ص 250.

(4) الهادي أحمد درواز، المصدر السابق، ص 164.

(5) إضافة إلى ذلك كان أحمد حماني يلقي خطبا ودروسا لزملائه المعتقلين. أنظر: نظام الجبهة داخل سجن لانبيس، مجلة أول نوفمبر، الصادرة بالجزائر، عدد 106-107 (جويلية - أوت 1989) ص 69.

(6) الهادي أحمد دروزا، المصدر السابق، ص 164.

(7) سليمان الشيخ، الجزائر تحمل السلاح أو زمن اليقين، ترجمة محمد حافظ الجمالي دار القصة للنشر الجزائر، 2003، ص 408.

المداسر والقرى، ساعدت في الحفاظ على اللغة العربية. وكان توجه الثورة نحو تكوين إطارات ناطقة بلغة الضاد قد أخذ سبيله بإرسال الطلاب إلى الجامعات العربية⁽¹⁾.

2 - ترسيم اللغة العربية في تعاملات الثورة الجزائرية ومؤسساتها:

حاولت الثورة الجزائرية تجسيد اللغة العربية كواقع في سلوكها فأصدرت تعليمات أشارت من خلالها إلى الاعتراف بالعربية كلغة وطنية، باعتبارها لغة الدين والثقافة والماضي التاريخي⁽²⁾، وأكدت إلزامية استعمالها في كل النشاطات الوطنية التجارية والإدارية والسياسية والدبلوماسية والتعليمية والفنية والدينية⁽³⁾ بل أصدرت تعليمات منعت فيها كل مجاهد << التكلم بغير العربية إلا للضرورة >>⁽⁴⁾.

ولما كانت مؤسسة القضاء تكتسي أهمية في الحفاظ على الأحوال الشخصية، فقد كانت اللغة العربية تستعمل بقوة في مختلف المجالس القضائية ومحاكم الثورة، خاصة الأحكام التي كانت تصدر باللسان العربي⁽⁵⁾.

(1) ذكر يحيى بوعزيز أنه لما اشتدت عملية القمع في منطقة القبائل قام عميروش بترحيل الطلبة لإكمال الدراسة في تونس. يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص 281.

كذلك: جورج الراسي، المرجع السابق، ص 250.

(2) هذه التعليمات صدرت عن قيادة الولاية الرابعة (ربيع 1961)، أرسلت إلى كل المدنيين والعسكريين لجيش التحرير وجبهة التحرير، نشر نصها الكامل كل من حربي وميني. أنظر:

Mohamed Harbi-Gillbert Myinier , op.cit , p647.

(3) ورد هذا في رسالة داخلية للولاية الرابعة (جوان 1962). نشر نصها الكامل حربي وميني.

أنظر: Ibid, p 673.

(4) مثال ذلك التعليمات الصادرة عن الولاية السادسة، بعنوان: حقوق وواجبات المجاهد. نشر نصها الكامل الهادي أحمد درواز. أنظر: الهادي أحمد دروزا، المصدر السابق، ص 174 - 180.

(5) المصدر نفسه، ص 77.

هذا ينطبق كذلك على مجموعة من المراسلات والقوانين، ومحاضر جلسات ورخص مرو وأمر بمهمات، وشهادات طبية ووصفات علاجية، وشهادات للحالة المدنية وعقود وبطاقات ترقية وشكر وتعزية، كانت تحرر باللغة العربية في الولايات: الأولى والثانية والرابعة والسادسة⁽¹⁾. هذا فضلا عن منشورات أخرى تتعلق بالمسائل السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والإدارية والإعلامية⁽²⁾. بل وجدنا نصوصا ذات قيمة سياسية عالية محررة باللغة العربية؛ كبيان مؤتمر النمامشة السري⁽³⁾، ومراسلات لكبار القادة؛ كبومدين والعقيد لطفي وعلي كافي وأوعمران وعميروش⁽⁴⁾. وحتى الأسلحة

(1) نشر علي كافي (عن الولاية الثانية)، و لخضر بورقعة (عن الولاية الرابعة)، والهادي أحمد درواز (عن الولاية السادسة)، وتقرير الملتقى الجهوي (عن الولاية الرابعة) وثائق هامة تتعلق بهذه المسائل. أنظر: علي كافي، مذكرات الرئيس علي كافي، ط2، دار القصة للنشر، الجزائر، 2011، ص ص 373 - 389، 402 - 408. كذلك: لخضر بورقعة، شاهد على اغتيال الثورة، ط2، شركة دار الأمة، الجزائر، 2000، ص ص 315 - 316، 325 - 330، 331 - 333.

كذلك: الهادي أحمد درواز، المصدر السابق، ص ص 117 - 134.

كذلك: حزب جبهة التحرير الوطني (المنظمة الوطنية للمجاهدين)، تقرير الملتقى الجهوي المقدم للملتقى الوطني الرابع لتسجيل وقائع وأحداث الثورة التحريرية بالولاية الرابعة، مطبعة المجلس الشعبي الوطني، الجزء الأول (1959 - 1962) ص ص 119 - 120، 125.

(2) نشر لخضر بورقعة وثائق من هذا النوع محررة باللغة العربية. لخضر بورقعة، المصدر السابق ص ص 325 - 330.

(3) نشر رابح بلعيد النص العربي الأصلي لهذا البيان (مصورا) في مجلة رسالة الأطلس الأسبوعي. أنظر: رابح بلعيد، مشروع مؤتمر الصومام، كتبه الشيوعيون والتغريبيون، وجماعة النمامشة عقدت مؤتمرا مضادا له قراءة في محتوى مؤتمر النمامشة السري المضاد لمؤتمر الصومام (الجزائر دولة إسلامية، أصل كل خلاف!) مجلة رسالة الأطلس الصادرة بالجزائر، عدد 422، 10 - 16 نوفمبر 2002.

(4) نشر علي كافي الوثائق المتعلقة بهذه المراسلات في ملحق كتابه. أنظر: علي كافي، المصدر السابق ص ص 410 - 412، 427 - 428، 487.

الانجليزية — كالبنداق — كانت مرقمة ترقيما عربيا ومكتوبة عليها أسماء باللغة العربية؛ فقد ذكر المجاهد خليفة الجندي أنها كانت تعطى لمصر التي تطبعها بالأرقام والحروف العربية وفقا لاتفاق مع قيادة الثورة الجزائرية في هذا المجال⁽¹⁾. وهو ما يفسر إدراج المجلس الوطني للثورة (ماي جوان 1962) للغة العربية كلغة رسمية⁽²⁾، وربطه هذه اللغة بالمشروع الثقافي للدولة الجزائرية الجديدة⁽³⁾، باعتبار أن اللغة العربية أساس الشخصية الوطنية ومظهرا للسيادة والجسر الذي يربط الجزائر بمحيطها الحضاري العربي والمغاربي⁽⁴⁾. ورغم ضعف التكوين اللغوي - خاصة العربية الفصحى - لمختلف نخب وقيادات الثورة فقد حاولت جبهة التحرير - كما أشرنا سابقا - استعمال اللغة العربية في مختلف مراسلاتها وبياناتها الموجهة إلى الشعب، أو إلى مختلف القيادات العسكرية والسياسية، رغم ما كان يشوب هذه اللغة من خلل، لكن في الغالب كانت لغة مفهومة تجمع بين الفصحى والدارجة. وتكريسا لهذا التوجه بدأت المجالس الشعبية المنبثقة عن مؤتمر الصومام تستعمل اللغة العربية في التوعية السياسية لمختلف شرائح الشعب⁽⁵⁾.

(1) خليفة الجندي وآخرون، حوار حول الثورة، جزء 01، المركز الوطني للتوثيق والصحافة والإعلام المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1986، ص ص 279 - 280.

(3) CAD , SEAA (1959-1967) , BoiteN°2 , Le FLN et Le Mythe de L'Etat Algérien.

(4) de CAN , Boite N°C053 , Projet de programme du FLN pour la Réalisation de la révolution Démocratique populaires . Tripoli (Mai - Juin 1962).

(4) محمد العربي ولد خليفة، الثورة الجزائرية معطيات وتحديات، ط 1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1991، ص 87.

(5) جورج الراسي، المرجع السابق، ص 251.

إلا أن ما ذكرناه على بعض النصوص لا ينسحب على إعلام الثورة، الذي تميز بلغة عربية فصيحة وأسلوب قوي جسده إذاعة << صوت العرب >>، التي كانت تبث من القاهرة وإذاعة << صوت الجزائر >>، اللتين كان الجزائريون يسمعونهما بشغف كبير⁽¹⁾. فضلا عن الإعلام المكتوب، ممثلا خاصة في جريدتي المقاومة الجزائرية والمجاهد.

لكن يجب التنبيه إلى أن المشروع الثقافي لميثاق طرابلس (1962) وبالرغم حديثه إعطاء اللغة العربية كرامتها ونجاعتها كلغة حضارة، وأسند لها مهمة إحياء التراث وبعث الحياة الفكرية ونشر الروح الوطنية ومحاربة الهيمنة الثقافية والتأثير الغربي⁽²⁾، فإنه لم يضعها ضمن وعائها الإسلامي⁽³⁾، وهو يفقد هذه اللغة خاصية من أهم خصائصها؛ فقد ظلت اللغة العربية على مدى قرون على علاقة وطيدة بالدين الإسلامي الذي كان عاملا قويا في انفتاحها وتقدمها كما أن هذا المشروع لم يحسم في مسألة التعريب - بغض النظر عن الصعوبات التقنية للتسيير - ولو بالإشارة إلى التطبيق الجزئي له في القطاعات الحيوية المتعلقة بالسيادة⁽⁴⁾. بل إن اتفاقيات إيفيان (1962) سمحت لفرنسا الاحتفاظ بالعديد من المنشآت

(1) سليمان الشيخ، المرجع السابق، ص 409.

(2) - projet de programme du FLN la Réalisation de la Révolution Démocratique populaire, Tripoli (Mai - Juin 1962), op.cit.

(3) في هذا المجال يراجع نص البرنامج المتعلق بالثقافة. وللوقوف على تحليل أوسع حول هذه المسألة يراجع ما كتبه يوسف

قاسمي. أنظر: Ibid. كذلك: يوسف قاسمي موائق الثورة 1954-1962، أطروحة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر، باتنة

2008 / 2009، ص ص 256 - 260

(4) أحمد بن نعمان، حزب البعث الفرنسي، شركة دار الأمة، الجزائر، د ت، ص 88.

التعليمية وتشجيع اللغة الفرنسية والتبادل الفني والثقافي⁽¹⁾. وهذا - كما قال البعض - ضمان لبقاء الفرنسية في الجزائر⁽²⁾.

3 - موقف الثورة الجزائرية من استعمال اللغة الفرنسية:

يجب أن نعترف بأن كثيرا من نصوص الثورة ومواثيقها قد صيغ بلغة المستعمر، وما يعبر ذلك من دلالة تتعلق بالهيمنة الثقافية التي كانت مفروضة على الشعب الجزائري، من خلال الاعتماد على المدرسة الفرنسية فقط في التعليم، أدى إلى تكوين نخب جزائرية عاجزة عن الكتابة والصياغة باللغة العربية الفصحى. هذا ما يفسر - ربما - صدور أول نص تاريخي للثورة (بيان أول نوفمبر) باللغة الفرنسية واستعمال هذه اللغة، كذلك، في محاضر جلسات أول مؤتمر للثورة وبها أديرت أشغاله وحررت أول أرضية إيديولوجية لجهة التحرير الوطني (ميثاق الصومام)⁽³⁾.

والحق أن استعمال اللغة الفرنسية في نصوص ومواثيق الثورة، وحتى في الصحافة والتصرّيات الإعلامية، لا يفهم منه انحياز للغة المستعمر على حساب اللغة العربية في الثورة الجزائرية، بقدر ما كان وسيلة لقادة الثورة - بحكم التكوين اللغوي - للتعبير عن القضية الجزائرية فقد كانوا يستعملون اللغة الفرنسية كسلاح مضاد في وجه الاستعمار لتبليغ رسالة

Benyoucef Ben Khadda, *Les Accords d'Evian*, édition (02), opu, Alger, 1991, p81- 117.

(2) - عبد المجيد شيخي، << إتفاقيات إيفيان أو ميثاق الاستعمار الجديد >> محاضرة أُلقيت في قسنطينة (19 مارس 1993) منشورة في كتاب: المرحلة الانتقالية للثورة الجزائرية، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1995، ص.10.

(3) ذكر مصطفى هشايوي، دون أن يأتي بالدليل، أن البعض برر غياب بعض الأطراف عن مؤتمر الصومام، بسبب الاتجاه اللغوي (الفرنسي) الذي كان مهيمنا على أشغال المؤتمر. أنظر: مصطفى هشايوي جذور نوفمبر في الجزائر، مجلة أول نوفمبر الصادرة بالجزائر، عدد 145 - 146، 1994، ص 115.

الثورة العادلة لجميع الفرنسيين والأوربيين والتصدي للاتهامات التي كانت تكيلها لها إدارة الاستعمار. فطبيعة المعركة التي كانت تخوضها الثورة فرضت عليها استعمال كل الوسائل لإنجاح مهمتها بما في ذلك اللغة الفرنسية. ولما كانت طبيعة المعركة قبل اندلاع الثورة تفرض التصدي لسياسة الفرنسية، كانت غالبية مؤتمرات الحركة الوطنية (حركة الانتصار) تدار أعمالها باللغة العربية بهدف تنمية الشعور الوطني وإعداد الضمير السياسي من أجل التمييز عن لغة وحضارة المستعمر⁽¹⁾.

لذلك فإن استعمال اللغة الفرنسية في أشغال مؤتمر الصومام وفي تحرير ميثاقه، أصبح في منظور الثورة الجزائرية - كما قال فانون - لا يعني تخاذلا أمام الاحتلال أو خيانة بقدر ما يعبر عن موقف جديد إزاء اللغة الفرنسية⁽²⁾. ولعل هذا ما وضحه <<إيفه بريستير>> عندما نقل نصا عن جبهة التحرير الوطني تقول فيه: <<إننا نخوض الحرب ضد فرنسا ولكن ليس ضد الثقافة الفرنسية، لماذا نعزل أنفسنا عن ثقافة كبيرة مثلها>>⁽³⁾. هذا ما يفسر أن بعض مدارس الثورة كانت تدرس باللغتين العربية والفرنسية⁽⁴⁾، وهو ما يضع الدعاية الفرنسية، التي كانت تصف فيها الثوار <<بالمضطربين والمتوحشين العرب>>⁽⁵⁾ محل سخرية! هذا يجعلنا نقول إن البعد العروبي للثورة، وفي جانبه اللغوي، لم تكن له نزعة

(1) - فرانز فانون، سوسيولوجية ثورة، ترجمة ذوقان قرطوط، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت 1970، ص 90.

(2) المصدر نفسه، ص 88.

(3) إيفه بريستير، المصدر السابق، ص 208.

(4) المصدر نفسه.

(5) المصدر نفسه.

عنصرية انتقامية من اللغة الفرنسية وإنما هو بعد حضاري يعيد الاعتبار والمكانة للغة العربية، ويهتم باللغات الأخرى، والتي منها الفرنسية، كرسيد إنساني بغرض الانفتاح على مختلف الثقافات والحضارات.

4 - الدور التعبوي:

لقد أثمرت جهود جبهة التحرير لإحياء واستعمال اللغة العربية؛ فانتشرت بين جنود جيش التحرير الوطني وفي أوساط المجاهدين الذين كانوا لا يتكلمون إلا الفرنسية أو البربرية فأصبحت العربية وسيلة للاتصال والتفاهم، وأدى ذلك إلى إسقاط الفوارق العرقية ووآد العصبية وكان هذا طبعا لصالح التضامن والوحدة الوطنية⁽¹⁾. كذلك لعبت اللغة العربية بعد هذا الانتشار نتيجة الجهد المضني للثورة، دورا تعبويا لا يستهان به، سواء في بث الوعي السياسي والثقافي والفكري أو في نشر الحماس والروح الوطنية، وأصبحت كلمات، كالاستقلال، الاستعمار، الثورة، النظام لها دلالتها السياسية عند المجاهدين، وأعطى إعلام الثورة - الذي كان الجزائريون يسمعون به بخشوع - إحساسا بعودة الأمة الجزائرية إلى الظهور، وكانت اللغة العربية الفصحى الناقل لتلك الأحاسيس، أدى ذلك - كما قال سليمان الشيخ - إلى إقامة حاجز بين الجزائريين والاستعمار⁽²⁾. هذا التأثير يتجلى كذلك في الأناشيد العربية؛ فوجدنا - مثلا - شاعر العروبة في الجزائر (مفدي زكرياء) استمد شعره من وحي النضال المسلح⁽³⁾.

(1) سليمان الشيخ، المرجع السابق، ص 408.

(2) المرجع نفسه، ص 408 - 409.

(3) المرجع نفسه، ص 409.

وهكذا، كان للغة العربية دورها التعبوي في الثورة الجزائرية، وبدت وكأنها سلاحا حقيقيا في المعركة ⁽¹⁾، بعد أن أعادت لها الثورة الجزائرية مكانتها وروحها التي حاول الاستعمار أن ينتزعها.

خاتمة:

في الختام يمكن القول بأن الثورة الجزائرية استمرت في التعبير عن موقفها الايجابي من اللغة العربية، سواء بمختلف الأدبيات والنصوص الرسمية التنظيمية، أو الممارسة الميدانية، عن طريق الإعلام المكتوب والمسموع، أو عملية التعليم في المدارس والسجون، أثمرت هذه الجهود انتشارا واسعا للغة العربية، تحول هذا الانتشار إلى دور تعبوي هائل في المواجهة التي خاضتها الثورة الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي. غير أن مؤتمر طرابلس (1962) واتفاقيات إيفيان لم يترجما هذه المكتسبات في مؤسسات الدولة الجزائرية المستقلة، لتنهض بمرحلة البناء والتشييد وهو ما شكل أحد العراقيل الرئيسة لعملية التنمية، هذا يجعلنا نكتشف مدى تأثير المدرسة الفرنسية على بعض أفراد النخبة الثورية الذين وقعوا اتفاقيات إيفيان، وعلى أعضاء لجنة صياغة ميثاق طرابلس، الذين اكتفوا في ميثاقه تقديم صورة نرجسية فقط عن اللغة العربية — بسبب وقع تأثيرها الرومانسي على الشعب الجزائري — دون استلهام التجربة العملية للثورة الجزائرية في هذا المجال وهي التجربة التي كما أسلفنا حققت بها جبهة التحرير الوطني نجاحا كبيرا.

(1) — المرجع نفسه .